

## الباب الحادي عشر

### تجارب تربوية

تمهيد :

هذه الطرق التي رسمناها لتدريس فروع اللغة العربية ، والتربية الدينية ، ليست قوالب فولاذية ، يصب فيها جميع المدرسين ، وتشكل بها أساليب الدراسة ، ويدرج عليها المدرسون نسخاً مكررة متشابهة ، ولكنها خطوط عامة مدروسة في ظلال البحوث النفسية ، والتجارب التربوية ، ولها من المرونة والطواعية ما يجعلها قابلة للتعديل والتهذيب ، وللمدرسين أن يتصرفوا فيها تصرفاً حرّاً ، يستجبه التجديد والابتكار ، بل عليهم أن يبرزوا شخصيتهم واستقلالهم في أساليبهم التعليمية .

والتربية الحديثة لا ترضى أن يظل المدرس جامداً أمام أوضاع متوارثة ، بل تطمح في أن يكون له من الحرية والتحرر ما يمكنه من أن يعرض أسلوباً جديداً في تناول المنهج ، أو في طريقة التدريس ، أو في الأمرين معاً ، ما دام هذا الأسلوب الجديد يرسم أقرب الطرق وأوضحها ؛ لتحقيق الغايات التربوية العامة والخاصة للمادة الدراسية :

والتربية الحديثة هي التي نادى بأن يكون للتجارب شأن واعتبار في المجالات الدراسية ؛ حتى تظل التربية دائماً عملية نامية ، تتجدد حيويتها بما تقتبسه من النتائج الناجحة لهذه التجارب التربوية .

وفي ضوء هذه الفلسفة عنيت المعاهد والكليات التربوية بأن تزاوّل نشاطها التجريبي في مدارس نموذجية ، تكون لها أشبه بحقول التجارب ، ولا يعنيها أن تكفل تجاربها بالنجاح دائماً ؛ فالفائدة التي تشير إليها التجربة الفاشلة لا تنقل في قيمتها التربوية عن نتيجة التجربة الناجحة ، بل ربما كانت أدعى إلى تعديل واجب في المناهج أو أساليب التدريس .

وفي دروس اللغة العربية ، والتربية الدينية مجال يتسع لكثير من هذه التجارب التربوية ، وأملانا كبير في أن يرعى المدرسون هذه الناحية ، وأن يطالعونا دائماً بما قاموا به

من تجارب ، قد خططوا لها ، وراقبوا سيرها ، وسجلوا نتائجها ، واطمأنوا إلى هذه النتائج .

ورغبة منا في تشجيعهم على اقتحام هذا الميدان ، نسوق لهم - على سبيل المثال - طائفة من هذه التجارب ، قام بها زملاؤهم في المدارس النموذجية وغيرها :

### ١ - تدريس اللغة العربية وحدة متماسكة :

عماد هذه الطريقة :

أن تدرس اللغة العربية في ظلال نظرية الوحدة ، لانظرية الفروع ، بمعنى أن اللغة مادة واحدة ، لانقوم بين أجزائها تلك الفواصل المصطنعة ، ولاتعرف التزيق والتقسيم إلى فروع مختلفة ، تحمل هذه الأسماء التقليدية ، وهي المطالعة ، والمحفوظات ، والقواعد ، والإملاء ، والتعبير . . . . .

وقد شرحنا في فصل سابق الأسس النفسية ، والتربوية ، واللغوية ، التي تستند إليها نظرية الوحدة .

### مجال تطبيقها :

طبقت هذه الطريقة في جميع فصول الصف الأول من مدرسة انقراشي النموذجية الإعدادية في العام الدراسي ( ٥٦ - ٥٧ ) وكان لي الإشراف على هذه الطريقة في ذلك العام ، ثم استمر تطبيقها مع تلاميذ هذا الصف في الصفوف التالية ، التي انتقلوا إليها .

### محور هذه الطريقة :

المحور الذي دارت حوله هذه الطريقة هو القراءة ؛ لأنها المجال الطبيعي لدراسة اللغة أفكاراً ، ومفردات ، وأساليب ، وخصائص .

### الخطوة التنفيذية :

أعدت مادة القراءة التي قدمت للتلاميذ في هذه التجربة ، من القصص الشائقة ، والموضوعات الطريفة ، تعرض عليهم مطبوعة في بطاقات مطولة ، تشتمل كل منها على قصة قصيرة ، أو جزء من قصة طويلة ، وعلى طائفة من الأسئلة ، تناقش بها الجوانب

المختلفة ، وتتعهد في التلميذ الخبرات والمهارات المطلوبة ، ومن هذه القصص والموضوعات ما يتسع لبعض الأناشيد والقطع الأدبية شعراً ونثراً .

واعتمدت مادة القراءة - كذلك - على الكتب المدرسية المقررة ، وعلى القصص المطبوعة المناسبة للتلاميذ في مكتبة الفصل أو مكتبة المدرسة . وأصبح في يد التلميذ طائفة متنوعة من المادة القرائية ؛ وأصبح جو العمل كله جوناشاط وتنافس في القراءة .

### تطبيق هذه الطريقة داخل الفصل :

- ١ - توزع على التلاميذ البطاقة الجديدة ، أو يطالبون بإخراج البطاقة السابقة .
- ٢ - يقرأ التلاميذ ما في البطاقة ، مع اتباع الطرق التربوية في تدريس القراءة .
- ٣ - يقرءون الأسئلة التي في البطاقة ، ويناقشون في الإجابة عنها ، ومن هذه المناقشات ما يتجه إلى المفردات اللغوية ، ومنها ما يتجه إلى فهم المعنى ، ومنها ما يتناول جانباً من القواعد ، في ظل المنهج المقرر ، وبطريقة عملية ، ومنها ما يطالب التلاميذ بالتعبير الشفوي أو الكتابي ، وبعضها يعني برسم الكلمات رسماً صحيحاً ، أو رسم بعض الجمل رسماً جميلاً .

هذه هي الخطوات العامة لطريقة معالجة الموضوع ، وكل بطاقة تشمل على هذه الألوان ، مع إدخال شيء من التغيير والتجديد والابتكار في كل بطاقة .

وليس معنى هذا أن تعالج في حصة واحدة كل هذه الألوان ؛ فهذا متعذر ، ولكن ينبغي أن يحدد لكل درس طائفة من هذه الأغراض ، وأن تكون هذه الأغراض واضحة في ذهن المعلم ، ومعدة في كراسته ، وأن تتحقق الأهداف كاملة بتحقيق تلك الأغراض المحددة لكل درس .

وهذه الطريقة تتيح للكسب اللغوي أن ينمو نمواً متكاملًا في سائر اتجاهاته : كالقراءة ، والفهم ، والتعبير ، والتذوق الأدبي ، والثروة اللغوية ، والرسم الإملائي الصحيح ، والرسم الخطي الجميل ، من غير أن تظني ناحية على أخرى ، ومن غير تقيد بمحصص معينة ، أو فرص خاصة ، قد تتمكن لبعض الفروع ، ولا تتمكن لبعضها الآخر .

وهذه الطريقة - كذلك - تشعر التلميذ والمعلم بوحدة المادة ، وتقضي بإغناء أسماء الدروس ، تبعاً للفروع التقليدية ، بل تتناول اللغة على النحو المعد في البطاقة .

## علاج هذه الطريقة خارج الفصل :

تعدّ هذه الطريقة خارج الفصل حلقة متممة للعمل بها داخل الفصل ، ومن محاسن هذه الطريقة أنها ترتب للتلميذ دائماً واجبات منزلية منظمة عاجلة ، يؤديها ويحجى منها فوائد متجلدة ، تهض به ، وترفع مستواه ، بصورة مطردة ؛ فهذه الأسئلة والمناقشات التي تشتمل عليها البطاقات ، قد يكلف التلميذ أن يستقل ببعضها في المنزل ، كما أن الواجبات الكتابية قد يؤدي بعضها في الفصل ، وبعضها خارج الفصل .

ويمكن بهذه الطريقة - أيضاً - علاج الفروق الفردية بين التلاميذ ، كما يمكن بها رسم طريقة دقيقة محددة ، لاشتراك الآباء في معاونة أبنائهم .

وأعتقد أن الواجبات المنزلية لا تلقى من المدرسين والتلاميذ - في ظلال الطريقة التقليدية - مثل هذا التنظيم الدقيق ؛ وهذا يكثر إهمال التلاميذ ؛ إذ يتركون الدروس تراكم أمامهم ، ويتبدد من أذهانهم ما أفادوه منها ، ويفرون من الحفظ والتحصيل والكتابة ؛ لأن لهذه الواجبات - في نظرهم - آجالاً ممتدة ، يستطيعون فيها المطلق والتسوية .

## صلة هذه الطريقة بالكتب الدراسية :

لا يسبق إلى الظن أن في هذه الطريقة إهداراً للكتب المدرسية ؛ فجانبا مادة القراءة في البطاقات المطبوعة يقرأ التلاميذ في الكتب المقررة للقراءة ؛ وبعض الأسئلة في البطاقات تحيل التلميذ على كتاب القواعد ؛ لحل التمرينات التي به ، أو تحيله على نص في الكتاب المقرر . . . وهكذا .

ومن المسلم به أن الصلة بين هذه الطريقة والكتب المدرسية تشتد وتقوى إذا ألفت هذه الكتب على أساسها .

## نتائج هذه الطريقة :

أعرض - فيما يلي - هذه النتائج ، نقلا عن تقرير قدمه المدرسون الذين قاموا بإجراء هذه التجربة في آخر العام الدراسي ( ٥٦ - ٥٧ ) مع شيء من التصرف :

### جانب القراءة :

- ١- قرأ التلاميذ قراءة واعية دارسة عميقة ١٨٦٠ سطراً ، أى خمسة أمثال ما كان مقرراً أن يقره بالطريقة التقليدية .
  - ٢- قرءوا - إلى جانب ذلك ، وفوق ما كان مقرراً - قصتين من حجم متوسط ، هما قصة « موسى وبنو إسرائيل » وقصة « إسماعيل الذبيح » .
  - ٣- قرءوا في كتاب القراءة ما كان مقرراً ، قراءة لاتقل في الكم والكيف عن قراءة زميل لهم في مدرسة أخرى .
  - ٤- أتاح لهم الاطلاع الفردى ، والمجهود الشخصى الموجه ، قراءة نحو ٢٢ قصة .
  - ٥- روعيت الفروق الفردية في القراءة مراعاة تامة .
  - ٦- ارتبطت قراءتهم - في كثير من الأحيان - بالمشروعات التى يدرسونها ؛ فتحققت الوحدة الكاملة بين اللغة العربية وسائر المواد .
  - ٧- قرأ التلاميذ فكرة كاملة عن موضوعات كثيرة ، لافقرات مجتزأة كما في بعض كتب القراءة .
  - ٨- أصبح المدرس يقبل على تدريس المادة بشغف ؛ لأنها من إنتاجه أو اختياره ، لاشئ مفروض عليه .
- وأعتقد - بعد ذلك - أن هذه الطريقة قد حققت غاية أساسية وهى القدرة على القراءة ، وجعلها عادة محبوبة للتلاميذ .

### جانب الفهم :

تقوم هذه الطريقة على أساس الفهم الدقيق لكل ما يقرأ ، ويشمل ذلك النواحي الآتية :

- ١- فهم المعانى العامة للمقروء .
- ٣- فهم المعانى الضمنية ، وما بين السطور .
- ٣- ترتيب الأفكار والربط بينها .

٤ - مناقشة المقروء ونقله .

٥ - الموازنة بين المقروء وما يشبهه أو يخالفه .

وقد أضيفت مفاهيم جديدة إلى أذهان التلاميذ ، من المادة المقروءة ، مثل :

١ - إثارة الشعور الوطني في نفوس التلاميذ .

٢ - فكرة كاملة عن الريف المصرى بجميع نواحيه ، تصور جماله ، وطبيعته ، وهدوءه ، وعاداته ، وتقاليده .

٣ - بعض قصص الحيوان التي ترمز إلى معان وطنية وإنسانية .

٤ - صورة واضحة للبيئة الصحراوية .

٥ - صورة ناطقة للربيع وجماله وتنسيقه .

٦ - فكرة عن أعياد الميلاد والاحتفال بها .

٧ - بعض التمثيلات الوطنية والتاريخية ، والترفيهية ، ذات المغزى الوطني والقومى .

٨ - معنى التضحية والطاعة في قصة الذبيح .

٩ - قصة بنى إسرائيل وغضب الله عليهم .

#### جانب التعبير :

عبر التلاميذ عن كل هذه المفاهيم ، تعبيراً شفوياً وكتابياً ، بأساليبهم الخاصة ، لابعبارات تفرض عليهم ، واستطاعوا أن يصوروا الأفكار التي حصلوها تصويراً مقبولاً . وقد جنبتهم هذه الطريقة الموضوعات التي تعرض عليهم ، وتعلو عن مداركهم ، أو لا تتصل بخبراتهم .

ومع التسليم بوجود الفروق بين التلاميذ ، صار في مقدور كثير منهم أن يكتب أربعين سطراً في الموضوع ، لانستطيع أن نحذف منها شيئاً .

#### جانب الثروة اللغوية :

حصل التلميذ على ثروة لغوية ، لاتقل عن ٣٠٠ كلمة جديدة وردت في مادة القراءة ، وقد درست هذه الكلمات في مجالها الاستعمالي ، لاني مجال مبتور .

## جانب التنوق الأدبي :

درس التلاميذ نحو مائة بيت من الشعر ، وحفظوها بعد فهم وتدوق ونقد ، ودرسوا - كذلك - ثلاثين بيتاً أخرى ، وحفظوا أيضاً نحو ثلاثين سطرًا من النثر ، ودرسوا عشرين أخرى دراسة نقدية وتدوقية شاملة .

## الأعمال التحريرية :

بهذه الطريقة أصبحت اللغة - في كل اتجاهاتها - تتناولها الأعمال التحريرية ، فالتلميذ يجب كتابة عن أسئلة القراءة ، ويعبر عن المعنى العام للمقروء ، أو يناقشه ، أو ينقده ، ويستعمل الألفاظ التي اكتسبها في أساليب جديدة ، ويراعى الضبط فيما يحتاج إليه ، ويرسم الكلمات رسماً صحيحاً وجميلاً ، كل ذلك في إطار موحد ، من غير تفرقة بين فرع وآخر ؛ وبذلك اكتسب التلميذ دقة في أعماله التحريرية جميعها ، لا يختص بهذه الدقة ناحية دون أخرى ؛ إذا ليس للإملاء - مثلاً - فرصة خاصة ، يصيب فيها ، ويخطئ في غيرها ، وليس للخط حصّة يحسن فيها ، ولا يحسن في غيرها ، وليس للإعراب والضبط السليم وقت معين ، يهتم بهما فيه ، ويهملان في غيره . ولو رجعنا إلى طريقة الفروع لوجدنا أن التلميذ لا يضبط إلا في درس التطبيق ، ولا يكتب بأسلوب أدبي إلا في كراسة التعبير الكتابي ، ولا يرسم الكلمات رسماً صحيحاً إلا في كراسة الإملاء ، ولا يرسمها رسماً جميلاً إلا في كراسة الخط ؛ وذلك لانفصال كل فرع عن الآخر في ذهنه .

وفي طريقة الوحدة لا يتقيد المدرس بما يفرضه المنهج من تحديد عدد معين لموضوعات الإملاء ، وموضوعات التعبير والتطبيق ، بل يتجاوز هذه المقدرات التي تحد من نشاطه ، وتضع أمامه قيوداً وحدوداً تضايقه من ناحية ، وتوجه همه إلى الخلاص منها ، من ناحية أخرى .

## الأعمال الشفوية :

في كل درس من الدروس يقوم التلميذ بالأعمال الشفوية ، من قراءة ومناقشة وتعبير ونقد وتدوق أدبي ، وكثير من الأعمال التحريرية تسبق بالمناقشات والأحاديث الشفوية من جانب التلميذ ، ودور المعلم إنما هو التوجيه والإرشاد .

## جانب الضبط اللغوى :

هذه الطريقة تحمل التلميذ على تحرى الضبط الصحيح ، فى كل ما ينطق ويكتب ، مستخدماً فى ذلك ما مرّن عليه فى مناقشات القواعد التى درسها ، وفى التطبيق عليها ، وفرق بين هذه الطريقة وطريقة الفروع ، التى لا يعرف فيها التلميذ القواعد إلا فى درس القواعد ، ولا يعرف الضبط إلا فى عبارات التطبيق ، التى يطلب منه ضبطها .

وقد أمكن - بطريقة الوحدة أيضاً - معالجة المنهج المقرر فى موضوعات القواعد، معالجة يسيرة ، أصبحت جزءاً من السلوك اللغوى للتلميذ ، إذ اكتفى بأن يقدم له المصطلح فى نهاية الامتزاز الكامل بالقاعدة قراءة وكتابة ، وأصبحت كل مادة القراءة والكتابة تطبيقاً عملياً للقاعدة ، وأصبح من الصعب على التلميذ أن يفرّق بين القواعد وغير القواعد ، بل هى مادة لضبط القراءة الصحيحة ، والكتابة الصحيحة ، وليس الغرض من دراستها حفظ القاعدة .

## بعض المشكلات والصعوبات فى هذه الطريقة :

صادفت هذه الطريقة بعض الصعوبات ، أهمها :

١ - أن أولياء الأمور أنكروها ؛ إذ وجدوا فيها جديداً لم يألفوه ، وخيل لآلهم أن المدرسة تسلك بأبنائهم مسلكاً غير مدرسى ، وأنها تتجه بهم اتجاهاً لا يؤهلهم لاجتياز امتحانات الوزارة ، ولكن ذلك هذه الصعوبة ، بعقد اجتماع لهؤلاء الآباء فى المدرسة ، شرحت لهم فيه أصول هذه الطريقة وفوائدها ، وصارت هذه الطريقة بعد ذلك موضع استحسانهم وثنائهم .

٢ - أن هذه الطريقة اقترحت على المدرسة فى أوائل العام الدراسى ، لاقبله بوقت كاف يسمح بإعداد المادة المناسبة للقراءة وطبعها ، ولكن حماسة المدرسين ، حملتهم على مضاعفة الجهود ؛ فتغلبوا على هذه الصعوبة أيضاً .

٣ - كثرة الأعمال الكتابية التى تحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد لتصحيحها .

## نتائج مقارنة :

ذكرنا سابقاً ما قرأه التلاميذ في خلال العام الدراسي ، وبيننا أنه يبلغ نحو خمسة أمثال ما يقرؤه زملاؤهم في المدارس الأخرى .

كما أن هؤلاء التلاميذ الذين مارسوا هذه التجربة قد كتبوا أكثر من خمسة وعشرين موضوعاً في التعبير ، وأكثر من خمس وعشرين قطعة إملائية ، وهذه المقادير تبلغ ضعف ما يكتبه التلاميذ في المدارس الأخرى .

وقد لوحظ - كذلك - أن الفترات التي تركت للتلميذ ؛ ليدير فيها على تحسين خطه ، تزيد على الفترات المحددة في المنهج الدراسي ، الذي يعالج بنظرية الفروع .

## ٢ - طريقة التعمينات :

هذه تجربة ثانية من التجارب التربوية التي نعرضها في هذا الباب وهي تقوم على طريقة التعمينات ، وهذه الطريقة نظامان :

( أ ) أن نحيل الطلاب على نص من النصوص في الكتاب ، أو في أوراق مطبوعة ، ونوجه إليهم طائفة كبيرة من الأسئلة حول هذا النص ، تتجه إلى اختبار الفهم والذوق والقدرة على الاستنباط ، وفي درس تال ناقش الطلاب ؛ لمعرفة مدى قدرتهم على الاستقلال بالبحث .

( ب ) أن نكلف ثلاثة من الطلاب إعداد بحث في موضوع معين ، نحدده لهم ، ونزودهم بالكتب التي يرجعون إليها ، وفي حصة تالية نختار هؤلاء الطلاب ليشرح هذا الموضوع لإخوانه في الفصل في نحو خمس عشرة دقيقة ، ثم نطلب إلى الثاني ممن أعدوا هذا الموضوع أن يقوم فيزيد على الأول ما فاته من عناصر البحث ، وكذلك الزميل الثالث ، ثم يعقب المدرس على الجميع ، وبعد ذلك يكلف مجموعة أخرى من الطلاب . . وهكذا . .

ولهذه الطريقة مزايا متعددة ؛ فهي تعود الطلاب الاستقلال بالعمل ، والانتفاع بالمرجع في إعداد البحوث ، كما أنها تربي فيهم الاعتماد على النفس ، وتذكى فيهم المنافسة ، والرغبة في التجويد .

### ٣- القراءة الصحفية :

تجربة مبتكرة قامت بها مدرسة النراشي النموذجية الثانوية ، اتخذت فيها الصحف اليومية والمجلات مادة للقراءة والمناقشة والتعبير .

#### أساس هذه التجربة :

ميل الطلاب إلى قراءة الصحف : وإقبالهم على مادتها ، وتتبع موضوعاتها ، وأخبارها ؛ لما يأتي :

١- الصحف تطلعوننا دائماً بمادة طريفة ، وموضوعات جديدة ، والتجديد من عوامل الإثارة والتشويق .

٢- أكثر الموضوعات الصحفية ، من موضوعات الساعة ، التي تدور في الأذهان ، وتشغل الرأي العام ، بل قد تشغل الرأي العام العالمي ، والطلاب يشرفه أن يعيش مع الناس ، ويشترك في مناقشة ما يشغلهم . وفي اقتراح الحلول السليمة لمشكلاتهم ؛ فيحسن بذلك أنه مواطن له شأنه ؛ ومن هنا يعظم إقباله على القراءة الصحفية . والاستماع إليها ، ومناقشة مادتها .

#### خطوات هذه التجربة :

- ١- يقسم المدرس طلاب الفصل مجموعات ، تتكون كل منها من خمسة أو ستة .
- ٢- يكلف المدرس أفراد كل مجموعة أن يتدارسوا - بصورة عامة - الصحيفة التي معهم قبل الحصة . ويختاروا أهم أخبارها في نظرهم ويناقشوه فيما بينهم مناقشة إجمالية ، ويحسن أن يضع المدرس نظاماً يقضي بشراء مجموعة من الصحف والمجلات مما يجمعه من الطلاب ، في صورة اشتراك صفحي ، ولتكن قيمة الاشتراك قرشاً واحداً في الأسبوع ، ويمكن بهذه القروش شراء عدة صحف وبعض المجلات كل يوم .
- ٣- إذا بدأ الدرس يختار المدرس طالباً من إحدى المجموعات وأجلسه مكانه ، والصحيفة أمامه ، ويعتبر هذا الطالب رئيساً للجلسة ، أما المدرس فيتخذ مجلسه بين طلابه في آخر الفصل ، كأنه فرد منهم .
- ٤- يقرأ رئيس الجلسة في الصحيفة التي بيده الخبر الذي استرعى نظره ، ونظر

زملائه في مجموعته ، وبعد أن ينتهي من قراءته ، يوجز هذا الخبر بعبارة عربية سليمة ، ثم يعلن بدء المناقشة ، وأنه مستعد للرد على ما يوجه إليه من أسئلة حول هذا الموضوع . ولرئيس الجلسة الحق المطلق في اختيار من يشاء من الطلاب ليرسم سؤاله ، وليجيبه ، سواء أكان هذا الطالب من مجموعته أم من غيرها ، مع ملاحظة أن نلتزم في جميع الأسئلة والإجابات والمناقشات اللغة العربية السليمة ، فإذا تمت مناقشة الموضوع ترك الرئيس مكانه ، واختار الأستاذ طالباً غيره ، من مجموعة أخرى ؛ ليحل محل زميله السابق . . . وهكذا .

### تقوم هذه التجربة :

حققت هذه التجربة كثيراً من الغايات التربوية بوجه عام ، والأهداف اللغوية بصفة خاصة .

- ١ - فقد أثارت إعجاب التلاميذ بها ، وإقبالهم عليها ، في سرور وشوق .
- ٢ - وكانت فرصة طيبة ، درب فيها الطلاب على فن السؤال والحوار ، والإجابة المقنعة المركزة ، كما دربوا على التفكير العميق ، والربط بين المعلومات والأحداث ، وفتحت عيونهم وعقولهم على آفاق جديدة من البحث والقراءة والتعبير .
- ٣ - هيأت للطلاب نماذج للمواقف الحيوية ، التي يستخدمون فيها اللغة العربية السليمة ، استخداماً ناجحاً في مجالات الفهم ، والاستماع ، والقراءة ، والتفكير ، والتعبير .

ولقد أتيت مجلة « المصور » أن تشهد إحدى هذه الجلسات ، وأن تسجل ما دار فيها ، وكتبت بعد ذلك تعليقاً على هذه التجربة ، قالت فيه :

« كنا - إلى عهد قريب جداً - نسمع أن مدرساً ضبط تلميذاً وهو يقرأ إحدى الصحف أو المجلات ، وأن المدرسة قد وقعت عليه عقوبة شديدة لهذا السبب ، أما اليوم فقد تبدل الحال ، وتنبه رجال التعليم أخيراً إلى ذلك الدور الهام الذي تلعبه الصحافة في تزويد طبقات الشعب المختلفة بزاد طيب من الثقافة العصرية المختارة ؛ ولذلك أصبحت المدرسة هي التي تجلب المجلات والصحف لتلاميذها ، وتحثهم على قراءتها ، وتقرر لهم حصصاً يناقش فيها الأساتذة تلاميذهم فيما طالعوه من بحوث ، وما فهموه من آراء .

« وفي الأسبوع الماضي أتيح « للمصور » أن يحضر إحدى حصص المطالعة الصحفية بمدرسة النقراشي النموذجية بالقبة ، واستمع إلى تلاميذ السنة الثانية<sup>(١)</sup> الثانوية ، الذين لا تتجاوز أعمارهم الثلاثة عشر ربيعاً ، وهم يتناقشون ويتجادلون - بإشراف أستاذهم - في أدق المسائل الاجتماعية والسياسية ، بطريقة تدل على وثبة كريمة ، تبشر بنضج ذهني مبكر » .

#### ٤ - تجربة المنهج المتكامل :

أجريت هذه التجربة في أحد فصول الصف الأول بمدرسة النقراشي النموذجية الثانوية ، في العام الدراسي ( ٥٨ - ٥٩ ) .

#### هدف هذه التجربة :

إحكام الصلة بين فروع اللغة العربية ، وتوثيق العلاقة الطبيعية بينها ، والعمل على أن يخدم كل فرع منها بقية الفروع ، ليكون النمو اللغوي نمواً متكاملًا ، تحقق به الأهداف اللغوية جميعها .

#### الأسس العامة للتجربة :

١ - اتخاذ النصوص الأدبية محوراً للدراسات اللغوية ؛ وذلك لما يتوافر في هذه النصوص من المزايا التي تتحقق بها فكرة « المنهج المتكامل » ومن هذه المزايا :

( أ ) أن دراسة اللغة في المرحلة الثانوية ، يغلب عليها الناحية الجمالية ، بعد أن يكون الطالب قد أتقن الناحية الشكلية .

( ب ) والنص الأدبي أسمى أنواع الإنتاج اللغوي ؛ لما فيه من الصور الرائعة ، والتعبيرات الدقيقة ، والأخيلة البارعة .

( ج ) ويمكن في درس النص الأدبي معالجة الألوان البلاغية ودراستها دراسة ممتعة في ظلال هذا النص .

( د ) ودراسة النصوص تقتضي الاستعانة بالمراجع ؛ وفي هذا تهيئة للقراءة الحرة

( ١ ) كانت المدرسة الثانوية في ذلك الوقت تتكون من خمس فرق .

الواسعة ، كما تقتضى الرجوع إلى قواعد اللغة ، فتكون الدراسة النحوية دراسة طبيعية ذات وظيفة عملية .

٢ - سير التجربة في حدود الخطة الدراسية ، والمنهج المقرر لهذا الصف .

٣ - اعتماد التجربة على نشاط الطلبة نشاطاً حراً مستقلاً ، تبرز فيه القراءة الواسعة ، وانفرادهم بالبحث ، والرجوع إلى المصادر ، وإعداد المذكرات والتقارير .

### منهج التجربة :

اشتق لهذه التجربة منهج يجمع بين عناصر المنهج الدراسي ، وعناصر أخرى أضيفت إليه .

فالمنهج الأصلي يقضى بدراسة الأدب في عصور محدودة هي : العصر الجاهلي ، والعصر الإسلامي ، والعصر الأموي ، ولما كانت فكرة التجربة ترمى إلى تكامل المنهج ، فقد اتجهت - لتحقيق هذا التكامل - إلى وسيلتين :

١ - الربط بين فروع اللغة :

٢ - تتبع الفنون الأدبية في العصور المختلفة .

واقضى هذا اختيار طائفة من النصوص ، معظمها من العصور المقررة ، وبعضها من العصور التالية ، وبخاصة العصر الحديث ، ووضع لهذه النصوص المختارة ضوابط دقيقة يحدد اتجاهها ، وذلك يجعلها وحدات مختلفة هي :

الحرب والبطولة - المرأة - العصبية القبلية في الجاهلية - اتصال العرب بغيرهم - مصادر الثقافة العربية .

واختيار عدة نصوص لكل وحدة من هذه الوحدات . وسارت التجربة على أساس النصوص المختارة ، فتدرس دراسة نقدية تدقيقية ، تعتمد غالباً على استقلال التلميذ ورجوعه إلى المصادر المختلفة ، مسترشداً بما بين يديه من أسئلة كثيرة متنوعة ، حول النص الذى يعالجه :

كما تدرس في ظلال هذه النصوص الأساليب النحوية التى حددها المنهج ، وبعض الألوان البلاغية ، التى تنصل بأسرار الجمال النفسى فى الأدب .

وتعتمد هذه التجربة - كذلك - على القراءة الحرة ، لاستكمال البحث ، واستيفاء

عناصر الدراسة ، التي لا تتسع لها الحصة . وقد أعدت للطلبة مكتبة خاصة في الفصل ، تحتوي على ما يحتاجون إليه من كتب ومراجع .

### ٥ - دراسة الأدب حول محور من الأحداث التاريخية :

اطلعت على تجربة من هذا النوع في مدرسة المعادى النموذجية الثانوية . نظر المدرسون إلى منهج السنة الأولى في العصر الجاهلي ، فإذا هو ينص على ثلاثة أشياء هامة هي :

تصوير الشعر الجاهلي لحياة العرب ، وتنوع هذا الشعر فنوناً وأغراضاً مختلفة ، وترجمة بعض الشعراء .

قرأوا أن يديروا هذا المنهج حول ثلاث قصص هي :

- ١ - قصة امرئ القيس وحياته .
  - ٢ - قصة حرب داحس والغبراء .
  - ٣ - قصة النعمان ومجالسه ، وعلاقته بالشعراء ، وشيء من سيرته .
- وأعدوا طائفة كبيرة من الأسئلة في كل قصة .

وقد رأيت أن هذه القصص قد تكفلت بتحقيق أهداف المنهج ، وهي تصوير الحياة العربية الجاهلية في السلم والحرب ، ووصف العادات ، وأساليب العيش . كما عرضت هذه القصص نماذج من فنون الشعر الجاهلي المختلفة : كالوصف والحماسة والفخر والمدح والرثاء والهجاء والحكم ، وعرضت أيضاً تراجم شائقة لكل من امرئ القيس وعنزة وزهير والنابعة .

ومن الفوائد التي حققها هذه القصص أن الطلاب قرءوها جميعها في شوق وإقبال ، وتباروا في الإجابة عن الأسئلة ، وكان كثير من هذه الإجابات أشبه ببحث أدبي ممتاز . وكذلك فعل مدرسو الصف الثاني ، فكلفوا التلاميذ أن يقرأوا كتاب « هرون الرشيد » للمرحوم الأستاذ أحمد أمين ، وأن يربطوا بين مادة هذا الكتاب والموضوعات المقررة ، فنجحت هذه الدراسة ، وألم الطلاب بفكرة قيمة عن العصر العباسي ، تاريخه وأدبه في أبهى أوقاته .

ومن الأحداث التاريخية التي يمكن دراسة الأدب في ظلها :

- ( ١ ) حرب البسوس في العصر الجاهلي .  
 ( ب ) يوم بدر ، ويوم السقيفة في عصر صدر الإسلام .  
 ( ج ) استخلاف يزيد في العصر الأموي .  
 ( د ) نكبة اليرامكة في العصر العباسي .  
 ( هـ ) الحركات القومية ، والثورات التحريرية في العصر الحديث . وقد قامت مدرسة الأورمان النموذجية الثانوية بإجراء تجربة مماثلة ، وجعلت « كفاح العرب في سبيل قوميتهم » محور الدراسة الأدبية ، المقترحة لاصف الثاني .

#### ٦ - دراسة الأدب في ظل القومية العربية :

قامت بهذه التجربة مدرسة النقراشي النموذجية الثانوية ، في العامين الدراسيين ( ٥٩ - ٦٠ ) و ( ٦٠ - ٦١ ) .

#### فلسفة هذه التجربة :

تقوم هذه الفلسفة على الإيمان بأن التربية الصحيحة هي التي تمشق أهدافها وغاياتها من أهداف المجتمع وغاياته ، ولا شك أن أهم الأهداف القومية ، في حياتنا الحاضرة ، إنما هو القومية العربية ، التي انطلقت من إसार العصور الماضية ، واحتلت مكان الصدارة بين أحداث الشرق ، وأصبحت من عوامل اليقظة والبعث في الأمة العربية ، ومن دواعي الفزع والأرق للدول الاستعمارية .

#### أهداف هذه التجربة :

- ١ - إسهام العملية التربوية في خدمة الأهداف القومية .
  - ٢ - توثيق الصلة بين المنهج الأدبي والتيارات الفكرية ، التي توقظ المشاعر ، وتثير العواطف ؛ ففي ذلك حياة وقوة لدرس الأدب .
- منهج التجربة :

يقوم هذا المنهج على اختيار طائفة من النصوص الأدبية ، تتصل بهذا المعنى القومي وتبرزه ، وتعرض صورته في العصور المختلفة .

## صعوبات التجربة :

نسجل - فيما يلي - شيئاً من الصعوبات التي اعترضت القائمين على هذه التجربة ، في أول الأمر ، والتي ذكروها مفصلة في الكتاب الذي أصدرته المدرسة عن هذه التجربة ، كان من هذه الصعوبات :

١- أن القومية العربية بالمعنى الذي نفهمه الآن . لم تكن واضحة في كثير من العصور السابقة ، وأن سمات هذه القومية لم تظهر إلا في الفترات التي امتحن فيها العرب بحرب أعدائهم .

٢- أن الأدباء العرب قد شغلهم مآربهم الخاصة عن المتاف بالقومية العربية ، والذيادة عنها ، والدعاية لها ، ولم يتجهوا إلى هذه الغايات العامة اتجاهاً عامداً قوياً في العصور السابقة .

٣- لم تكن الوحدة العربية سائدة صفوف العرب في جميع الفترات التاريخية الماضية ، بل تعرض العرب لعوامل التفرقة والانقسام والمنازعات ، وكان لهذه الفرقة أثر في توهين الروابط القومية .

٤- جهد الاستعمار التركي ، والاستعمار الغربي في تمزيق الوحدة العربية ، وتقسيم الوطن العربي الكبير ، دولا وأوطاناً متعددة .

٥- كتب الأدب التي في أيدي التلاميذ ، تسير في اتجاه مغاير لاتجاه هذه الطريقة ، فلا يمكن الاكتفاء بها ، بل لابد من اختيار أكثر النصوص الصالحة من مصادر أخرى .

٦- وهناك صعوبة جوهرية أخرى ، وهي أن المنهج المقرر يقضى بدراسة حقائق ومسائل أخرى ، لارتبط بالقومية العربية ، والمفروض في التجربة أنها لا تتعارض مع المنهج ، ولا تنقص منه شيئاً .

## كيف ذلت هذه الصعوبات ؟

يمكن ردّ هذه الصعوبات إلى نوعين : نوع يتصل باختيار النصوص ومشقة العثور على ما يلائم التجربة منها ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بمضاعفة الجهد ، ومعاناة الصبر في البحث ، ونوع يتصل بالمنهج ، وضرورة الوفاء به ، وقد أمكن علاج

هذه الصعوبة بالتوسع في فهم القومية العربية ، وإضافة وحدات أخرى ، تتصل بهذه القومية العربية من ناحية ، وتسمح بدراسة ما يتطلبه المنهج من ناحية ، وتعزيز ذلك أيضاً . يجعل موضوعات القراءة والتعبير ، والتدريب اللغوي مما يخدم فكرة التجربة .

ون الوحدات التي أضيفت :

١ - المجتمع العربي : وفي هذه الوحدة درست نصوص تمثل العصبية القبلية ، ونصوص تمثل التضامن العربي .

٢ - ملامح الشخصية القومية : وقد تجلت هذه الملامح في أشعار الفخر والهجاء والمدح والحكم والوصف ، وفيما نطق به العرب من الأمثال والوصايا ونحوها .

٣ - كفاح العرب : وقد صور الأدب العربي كثيراً من ظواهر هذا الكفاح ، ومن المبادئ والبطولات العربية .

٤ - مقومات القومية العربية : اتسعت هذه الوحدة لتصوير الجهد العربية في العلم والثقافة ، كما اتسعت للتعبير عن وحدة المشاعر والآمال بين الأوطان العربية .

تنفيذ التجربة :

رأت المدرسة تنفيذها في الصنفين الأول والثاني ، مستعينة بطبع النصوص في بطاقات تحتوي على أسئلة كثيرة ، يعالج الطلاب بعضها في الفصل مع المدرسين ، ويستقلون ببعضها في المنزل .

واتخذت المدرسة وسائل أخرى لنجاح هذه التجربة ، فقد عنيت بشراء الكتب والمراجع ، وجعلها بين أيدي الطلاب في مكتبات الفصول ، أو مكتبة المدرسة ، وخصصت للقومية العربية ركناً في مجلة المدرسة ، التي تصدر كل أسبوع ، وركنا يومياً في الإذاعة المدرسية ، وحفزت الطلاب على كتابة البحوث ، ومنحت المتفوقين جوائز .

تقويم هذه الطريقة :

دُرست إجابات الطلاب في الاختبارات الشهرية والفترية ، وفي الامتحانات التجريبية وامتحان النقل ، فأثبتت هذه الإجابات ما يشهد بنجاح التجربة .

## ٧- اليوميات :

وهذه تجربة في تدريب التلاميذ على التعبير الحر ، قامت بها مدرسة المعادى النموذجية الثانوية ، في العام الدراسي ( ٦٠ - ٦١ ) وتقوم فلسفة هذه التجربة على أن من أهم الوسائل لتقدم التلاميذ في التعبير ، أن يكتبوا من الكتابة ، وأن يشجعوا عليها ، وأن يكونوا أحراراً في اختيار ما يعالجونه من الموضوعات .

وقد رأت المدرسة ألا تقتصر كتابة الطلاب على الموضوعات التي تقترح عليهم في حصة التعبير ، بل عليهم أن يضيفوا إليها موضوعات أخرى يتخبرونها ، واصطلح على تسميتها « يوميات » ولكي يهتم الطلاب بهذا الواجب الإضافي ، رأت المدرسة أن تكتب هذه اليوميات في الكراسات الأصلية للإنشاء ؛ حتى تكون موضع الاهتمام من الطلاب ، وموضع العناية والإشراف الدقيق من المدرسين .

ولقد اطلعت على بعض هذه الكراسات ، فرأيت احتفاء الطلاب بهذه اليوميات ، من حيث اختيار مادتها ، وتحرى الإجابة في عرضها ، كما رأيت أثر هذه التجربة واضحاً في تقدم أساليبهم ، وسعة آفاقهم ، وإقبالهم على الكتابة ؛ إذ أن الطالب كان يكتب موضوعين أو أكثر من هذه اليوميات بعد كل موضوع من الموضوعات المشتركة .

## ٨- المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني في دروس الدين :

رأت مدرسة الأورمان النموذجية الثانوية أن تدخل التربية الدينية في نطاق التجارب التربوية ، فاخترت هذا الموضوع ؛ ليدرس في ظلالة الصفان الأول والثاني ما يتصل به من النصوص الدينية ، والبحوث الإسلامية ، وقد استطاع القائمون على هذه التجربة أن يطوعوا موضوعات المنهج لهذه الدراسة التجريبية ؛ فحققوا بذلك فوائد كثيرة ، منها :

١- توجيه الدروس الدينية إلى أهداف واضحة ، وغايات تمتلئ بها نفوس الطلاب .  
٢- ربط دروس الدين بالحياة ، وتوضيح مزايا الدين الإسلامي وأثره في تنظيم الحياة الاجتماعية .

٣- تشويق التلاميذ إلى الدروس ، وإغرائهم بالإقبال عليها ، والمشاركة فيها .

٤- ربط الموضوعات المدروسة بالنصوص الدينية التي توضحها .

## منهج التجربة :

نعرض - فيما يلي - أمثلة من الموضوعات التي اختارها المدرسة لهذه التجربة .  
(١) درس تحت عنوان « المجتمع الاشتراكي » النصوص والموضوعات الآتية :

١ - نظرة الإسلام إلى المال ، وحق المجتمع فيه ، ويوضح ذلك فيما يأتي :

القرآن : مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله<sup>(١)</sup> . . . . .

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى<sup>(٢)</sup> . . . . .

الحديث : إن لربك عليك حقاً . . . . .

من كان عنده فضل ظهر . . . . .

الموضوعات العامة : المحافظة على النفس والمال .

٢ - العمل والإنتاج :

القرآن : هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا<sup>(٣)</sup> . . . . .

فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض<sup>(٤)</sup> . . . . .

الحديث : لأن يأخذ أحدكم جبلا . . . . .

ما أكل ابن آدم طعاماً قط . . . . .

الموضوعات العامة : السعي في طلب الرزق .

( ب ) ودرس تحت عنوان « المجتمع الديمقراطي » النصوص والموضوعات الآتية :

القرآن : يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى<sup>(٥)</sup> . . . . .

إنما المؤمنون إخوة<sup>(٦)</sup> . . . . .

الحديث : خطبة الرسول في حجة الوداع .

الناس سواسية كأسنان المشط .

المسلمون متكافأ دماءهم . . . . .

لا يكن أحدكم إمعة . . . . .

(١) سورة البقرة - الآية (٢٦١) .

(٢) سورة المائدة : الآية (١٥) .

(٣) سورة الحجر - الآية (٧) .

(٤) سورة الجمعة : الآية (١٠) .

(٥) سورة الحجرات : الآية (١٣) .

(٦) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

الموضوعات العامة : المساواة بين الناس في المعاملة والقانون .

( ح ) ودرس تحت عنوان « المجتمع التعاونى » النصوص والموضوعات الآتية :

القرآن : واعتصموا بحبل الله جميعاً (١) . . . . .

وتعاونوا على البر والتقوى (٢) . . . . .

ولتكن منكم أمة يدعون (٣) . . . . .

الحديث : كلكم راع . . . . .

ما من وال يلى رعية . . . . .

الموضوعات العامة : روح الجماعة فى الإسلام ، وتتمثل فى الصلاة والحج والزكاة .  
المستولية الخاصة والعامة نحو النفس والأسرة والمجتمع .

( ١ ) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) .

( ٢ ) سورة المائدة : الآية (٢) .

( ٣ ) سورة آل عمران : الآية (١٠٤) .